حقيقة «إسرائيل» ومصيرها

بقلم عبد اللطيف شراره

الظاهرة السياسية ، كالظاهرة الطبيعية ، توقظ فكر الانسان على البحث ، ثم لا تتركه يهدأ الا بعد ان يطمئن ، على نحو من الانحاء ، الى صحة « فهمه » ، وادراكه للاسباب والنتائج . وهذا الاطمئنان انما يتمثل ، اكثر مما يتمثل ، في اتخاذ موقف عملي من الظاهرة الموقظة ، او التجربة الجديدة . والانسان يظل في وضع قلق ما دام يفكر ولا يعمل ، ويجتر الاحاسيس ولا يخلص الى وجهة نشاط تستقر عليها جهوده ، فاذا انتقل من تفكيره الى « قرار » ، ومضى في تنفيذه ، كان حريا به ان يشعر بالراحة ، ويخلد الى السكينة ، ولكن في جو نفسي مفعم بالنشاط منحصر في اداء العمل الذي قر عليه الرأي او الفكر .

اما نتائج الاعمال ، فانها من طبيعة الافكار القائمة وراء العمل ، وهذا معناه انه لا يكفي ان يعمل الانسان كيفما اتفق ليتحرر من القلق ، وينجو من تعاسة الروح ، وظلام القلب ، بل ينبغي له ان يلاحظ ، في بدء من نشاطه وعمله ، ما اذا كانت افكاره صحيحة ، اي لا يمازجها وهم ولا يندس فيها خيال مريض ، ولا تبعث عليها انانية رعناء ، او مصلحة غير مشروحة . والرعونة في الانانية ، كافتقاد عنصر الشرعية في المصلحة ، انما تكون في ان لا يواجه الانسان الاساءة الى غيره دون علم هذا ، او في غفلة منه ، او استضعافا له وازدراء لشأنه ، من بداية الامر ، ولا يجهد من ثمة في اتقائها ، وتجنب الوقوع فيها ، ومقاومة كل نزعة في نفسه تحدوه على المقامرة مهما كان الربح مغريا ، لان كل ربح يتحقق بما يخسره الاخرون ، ينتهي لا محالة ، الى اضعاف الروح الانساني لدى الرابح ، وادخال المرض على تفكيره ، أي على رؤيته للعالم وفهمه اياه ، ومتى بلغ هذه المرحلة من الضعف وسوء الفهم ، تعرض للارتطام بماضيه ، وكثرت تعثراته في تلقي الاحداث والرد عليها ، وطفق ينحل ، وينحل ، الى ان يعود به ربحه الى الاصل فيه ، وهو « المصادفة » المحض ، ويقضي عليه اخيرا ، وعلى جهوده كلها ، تتمة للمصادفة التي ربح فيها ... ولذلك ، نجد المقامرة مرذولة لدى الشعوب الراقية ، لا المتقدمة ، محرمة في الشرائع العادلة ، منهيا عنها من قبل جميع المفكرين والاخلاقيين في كل بيئة انسانية ، صحيحة البنية .

ولقد كانت « اسرائيل » كدولة ، احدى الظواهر السياسية الغريبة في هذا القرن ، ولم تجد بعد تفسيرها الصحيح ، ولا عرف الناس حتى في « اسرائيل » نفسها حقيقتها ، والرأي في مصيرها يتوقف ، الى حد بعيد ، على ادراك حقيقتها .

والغرابة فيها كظاهرة سياسية ، هي التي تحمل على درسها ، وتلفت اذهان المفكرين اليها ، اذ لم يسبق لدولة في العالم كله ، قديما وحديثا ، ان كان « وجودها » موضع اخذ ورد ، وبحث وجدال ، ومن ثمة مثار نزاع واصطراع ، كما هي حال « اسرائيل » ، مما يؤكد ان وجودها غير طبيعي ، وان تحققه ، على النحو الذي تحقق به ، انما كان وليد مصادفات عابرة ، وان السياسة التي افضت اليه ، لم « تتبع خطى القانون » كما جرت العادة ، وانما كانت ضربا من المقامرة .

ـ ١ ـ

هناك لحظات ، في حياة كل انسان ، ومن ثمة في حياة كل مؤسسة انسانية ـ والدولة مؤسسة انسانية ـ يطبق بها الخطر عليه ، ويتعرض فيها للشعور بالفناء ، ثم لا ينقذه منها سوى ماضيه . وقد يكون اظهر مثل اسطوري عليها ، تلك اللحظات التي دخل بها الاسد على اندو كليس وشعر بها هذا ان منيته دنت ، وان لا مهرب له بعد من القدر ، مهما فعل ، واذا بالاسد يتعرف الى آنسان ، في شخص اندروكليس ، كان قد سبق ان احسن اليه ، ونزع الشوكة من قدمه ، فيحجم عن الاساءة ، ويتحول من سبع ضار الى حمامة وادعة .

ذلك هو الماضي المنقذ . والانسان يحيا ، كما عبر فاليري ، اقل مدة ممكنة في حاضره ، وحياته الحقيقية تدور ، اكثر ما تدور ، في الماضي والمستقبل ، وهذان من مخترعات الروح الانساني ، بينما الحيوان « يعيش » اكثر ما يعيش في حاضره : يضطرب اذا جاع ، ويهدأ حين يشبع ، ولا يظهر من سلوكه انه يفكر فيما غبر ، او يحسب حساب ما يأتي . الحاضر هو مجال السياسة التي يتبعها الحيوان تجاه نفسه ، وتجاه غيره . والمستقبل هو مجال السياسة الانسانية السليمة ، وهذه السياسة انما تفيد من الماضي لتوجه نفسها في الحاضر ، نحو مستقبل تقيم الدليل على افضليته .

وهناك أيضا ماض مهلك ، بمعنى ان تاريخ الانسان كتاريخ الدولة ، انما يجري في تيار خاص ، ولا بد له ان يصب آخر الامر ، في لحظات تورد صاحبه موارد الخزي والدمار ، او تضفر له أكاليل الفار ، وترفع اسمه عاليا بما يترك من آثار .

وليس من الصعب في عصرنا هذا الذي لا سبيل معه بعد الى اخفاء الحقائق والخلط بين الصحيح والمزيف ، ان يدرك العارفون مصب التيار التاريخي الذي تجري فيه سيرة فرد او دولة ، اية كانت التغيرات التي تطرأ على العقليات ، والاتجاهات ، والحركات الاجتماعية والسياسية ، بل الصعب اصبح ان يتسلل الظلام الى العقول ، وتطمس الوقائع ، ويضيع التاريخ .

ذلك بأن الذين يحاولون شيئا من ذلك ـ التضليل ، والطمس ، والتضييع ـ انما ينساقون في تيار مهلك ، مدمر ، وان بدا لهم انه يعود عليهم بفوائد يرونها جزيلة ، ويمكنهم من انتصارات تلوح لهم باهرة . هؤلاء يخلطون بين القشور واللباب ، ولا يميزون بين الوقت والدائم ، ويضلون وهم يحسبون انهم يضللون الآخرين .

ثم ان لكل دولة أساسا يبنى عليه تاريخها ، وعنه تنبثق سيرتها ، ويكون في الاعم الاغلب ، طبيعي القواعد ، أخلاقي الاتجاه ، قانوني المسلك ، حائزا رضا الجيران والمواطنين على السواء ، متماسك البناء من النواحي الانسانية لا الحيوانية ، معبرا في قرارته ، وبحكم الرضا الذي يحرزه من جيرانه وذويه ، عن التطلعات الإنسانية الشاملة التي نجد بذورها لدى كل شعب ، وكل امة . وهذه التطلعات هي ما يلخصه مفهوم العدالة . وقديما ادرك الناس قبلنا ان « العدل أساس » في دوام الدولة ، وازدهار حياتها ، وتنامي فعالياتها .

بقي ان مفهوم العدل اختلف ، وما زال يختلف ، بين دولة ودولة ، وحزب وحزب ، وحتى بين حضارة وحضارة . وليس لجمهورية افلاطون من طرافة فكرية لا تبلى ، سوى انها درست هذه الناحية ، اي اختلاف مفهوم العدالة ، واضاءت كثيرا من ظلمات الوجدان البشري حولها ، وان لم توفق الى حل المشكلات الناجمة عنها ، لان افلاطون الغى حرية الفرد ازاء الدولة ، وقلده من بعد هيغل في ذلك ، وكانت

من آثار هذا وذاك تلك الانظمة الاستبدادية الغربية ، الخالصة في غربيتها ، وعنها نشأت ، في اطار الحياة الدولية مؤخرا ، فكرة « اسرائيل » كدولة .

هناك اذن في الاساس من التفكير في ايجاد « اسرائيل » ، خطأ بالغ ، وضلال ما انفك يعمل عمله في تخريب الاسرائيليين ، وانحراف عقولهم ، وبلبلة اذهانهم ، وانحلال نفوسهم ، منذ اخذوا في نقل افكارهم التوراتية ـ التلمودية من حيز الخيال ، الى الواقع الآني المتخلخل .

وجوهر ذلك الضلال انهم ارادوا احياء افكار وعواطف ومعان ، نشأت عن مجتمع قديم ، بدائي العقلية ، مضطرب النفسية ، ضيق النظرة ، محدود الافق . والزمن لا ينقسم ، ولا ينحاز الى فئة ، او جماعة ، او مذهب ، او فلسفة . ومحاولة احياء قسم منه ـ ولنفرض هذا القسم عهد « الملوك » التوراتي ـ تدل على « صبيانية » في العقل ، وسوء فهم ، وانحطاط في الادراك ، لانها ، عدا عن كونها « رجعة » لا جدوى فيها ، ولا أمل بتحققها ، تفصل بين عهود التاريخ فصلا مصطنعا ، مخالفا لقوانين الطبيعة نفسها ، فاذا فرضنا على الطريقة المتبعة في الفرضيات الرياضية ان عهد « الملوك » رجع الى فلسطين ، اوجب علينا منطق الزمن أن يرجع الى مصر عهد الفراعنة الذين قاوموا الاستبداد اليهودي ، والى بابل عهد بختنصر ومن تلاه ، والى اميركا جهل الناس بوجودها ، والى أوروبا عهود الظلام والتوحش التي كانت تعيش فيها ايام داود وسليمان !.. ثم ان « اسرائيل » لن تبلغ في رجعتها هذه تلك الايام ، قبل أن تعرج في مسيرتها الرجعية على عهود هادريان اولا ، وطيطش وراءه ، أي عهود فنائها والقضاء عليها ، وبالتالي، لن تتمكن من تحقيق احلامها بتاتا ، لان دمارها متقدم في الزمن على عمرانها ، بحسب ما تتخيل ، ورجعتها الى نقطة محددة من التاريخ ، يستلزم رجعة جيرانها الى النقطة نفسها ، نظرا لهذه العلاقة الوثيقة بين المكان والزمان التي جعلت انشتين يحسب خطأ ، ان الزمان والفضاء شيء واحد .

هذا الاساس الصبياني الخاطيء في البناء الفكري لدى كل صهيوني ، هو الذي يجعل من « اسرائيل » دولة اصطناعية من جهة ، متخلخلة القواعد من جهة اخرى ، وهو هو الذي يجعلها ريشة في مهب الاحداث الدولية ، وتقلب الاحوال السياسية ، فلا تستقر ، كدولة ، على حال من القلق .

ـ ٢ ـ

لننظر الآن الى البناء ، بناء « اسرائيل » ، وكيف قام ، بعد ان وضح الخلل الخطير في اساسها . واول ما يظهر للمؤرخ المنصف ، وبوضوح ساطع ، ارتباط قيامها ، وهي لما تزل فكرة او مشروعا ، بالمطامع الاستعمارية ، والمصالح الاستراتيجية ، والمنافسات على الاسواق والطرق التجارية والارباح والمغانم اللامشروعة ، ومماشاة اليهود لتلك المطامع والمصالح ، واستغلالهم لهذه المنافسات .

وها أنا انقل الفقرة التالية من « دائرة المعارف البريطانية » في مادة « صهيونية » ، لما فيها من اشراق الدليل على صحة ما نبين « لقد وجد في انكلترا كتاب سياسيون يطالبون باعادة انشاء دولة يهودية ، تحت الحماية البريطانية ، كوسيلة الى تأمين الطريق البرية الى الهند (هيلفزوروث ، اليهود في فلسطين ، ١٨٥٢) . ولم يكن اللورد بالمرستون غير متأثر بهذه الفكرة ، واللورد بيكونسفيلد واللورد سالزبوري ساندا لورانس اوليفانت في مفاوضاته مع الحكومة العثمانية، على تحصيل امتياز كان من شأنه ان يمهد الطريق لدولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي في الارض المقدسة » .

وجاء في كتاب تيودور هرتسل « الدولة اليهودية » ، وهو الانجيل السياسي الذي يطبقه الصهاينة بحذافيره ، العبارة الآتية : « .. وهناك (في فلسطين) سننشيء من انفسنا سورا يحمي اوروبا ضد آسيا ، ونكون الحرس الامامي للحضارة ضد الهمجية . » . وذلك هو معنى تأييدهم لكل فكرة او حركة استعمارية يقوم بها أي غربي في بلدان آسيا وأفريقيا . وهو هو معنى مقاومتهم لكل فكرة او حركة وطنية وانسانية، يمكن ان تقوم في كل من اوروبا واميركا .

وقبل ان تندلع الحرب العالمية الاولى بقليل ، ذهب السر هربرت صموئيل يقنع وزارة الخارجية البريطانية بتبني الفكرة الصهيونية ، فكان اهم مبرر قدمه بين يدي فكرته ان قرب الدولة اليهودية من مصر « سيؤدي خدمة جلى لانكلترا ، وهي خدمة ذات اهمية كبرى للامبراطورية البريطانية . » . وحين تمت الغلبة للحلفاء الغربيين في تلك الحرب ، ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ارسلت حكومة صاحب الجلالة يومذاك السر هربرت صموئيل صاحب هذا الكلام ، اول مندوب سام الى فلسطين ، لترى كيف يؤدي ، شعب الله المختار » الخدمات الجلى للامبراطورية !

وعندما اخذ نجم بريطانيا يميل الى الافول خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي اعقابها ، توجه الصهاينة بثقلهم الاقتصادي والعلمي والثقافي كله ، نحو الولايات المتحدة الاميركية ، ونشروا في مجتمعاتها ـ وهي القابلة بحكم تكوينها الديموغرافي لما نشروه فيها ـ كل هذه النزعات ، والانحرافات ، والامراض الفكرية والاجتماعية والنفسية ، اذ اعتبرت اميركا نفسها ، على أيديهم ، « غربية » وانشقت عن الشرق انشقاقا تاما الى درجة بلغت معها حد القتال ، وفرض الرأي بالقوة ، واتهام الشرقيين بـ « الهمجية » ، وهي التي ولجت التاريخ حديثا بحيث يمكن القول : انها لا تزال طفلة بالنسبة للعراق ومصر ، او بالنسبة للهند والصين ، وليس لها من ميزة حضرية سوى تقدم تكنولوجي لم تشارك في أصوله وقواعده الاولى ، وان اشتركت في قطف ثماره . وليس من شك يرقى الى هذه الحقيقة ، وهي ان نفوذ اليهود في المجتمع الاميركي هو القائم وراء مصائبه العنصرية ، وازماته الاجتماعية ، وكثير من مشكلاته السياسية ، ولا سيما على الصعيد الدولي ، تماما كما كانت الحال في المانيا بعد الحرب العالمية الاولى .

لقد سمع الناس رجلا مثل ترومان يتظلم بصوت عال من الضغط الصهيوني عليه ، كما روى الفرد ليلنتال ـ وهو يهودي اميركي ـ في « هكذا يضيع الشرق الاوسط » :

« ان الضغط الصهيوني على البيت الابيض لم يفتر في الايام التي تلت التصويت على التقسيم في الامم المتحدة ، فقد طلب الي افراد وجماعات بلهجة انفعال وخصام ، ان اوقف العرب ، وان امنع البريطانيين من مساعدة العرب ، وان ابعث بالجنود الاميركيين ، وان افعل هذا وذاك وغير ذلك ... »

وهنا ، ينبغي لنا ان نتساءل : كيف يضغط الصهاينة على رئيس

صدر حديثا :

الذين لا يكبرون

قصص

بقلم :

عايدة مطرجي إدريس

٢٠٠ ق.ل منشورات دار الآداب

الولايات المتحدة ؟ وما هي وسائلهم الى مراس هذا الضغط ؟

الجواب انهم « يضغطون » بثلاث وسائل : الاولى هي اصواتهم كمواطنين اميركيين في الانتخابات ، والثانية الاموال التي ينفقون في سبل « سياسية » ، والثالثة الدعايات التي يبثون عن طريق منظماتهم في الداخل والخارج .

وان مجرد استخدام هذه الوسائل من اجل غايات سياسية يدل على مدى تعريضهم البلاد للاخطار ، وضعف ولائهم لها ، وسوء توجيههم اياها ، والاميركان يحسبون في الوقت نفسه ان اليهود « يخدمون » مصالحهم ، ويقاومون اعداءهم ، وبهذا يصبح اعداء اليهود ، من غير ان يشعر الاميركان ، اعداء الاميركان . وذلك كله يجري تحت ستار من المباديء ، والكلمات الفارغة من معانيها الحقيقية ، مثل الديمقراطية ، واللاسامية ، والحرية ، والانسانية ، والدفاع عن العالم الحر ، وما اشبه ...

وواقع الحال ان هذا الارتباط بين اميركا والصهيونية لا يختلف ابدا عن ارتباط الصهيونية من قبل بالاوساط الاستعمارية في دول اوروبا خلال النصف الثاني من القرن الماضي ، والنصف الاول من هذا القرن .

— ٣ —

ذلك الخلل في اساس اسرائيل ، وهذا الارتباط بالنزعة الاستعمارية في قيام بنائها ، جعلاها بلا « داخل » ، وضيعا عليها كل فرصة لتركيز حدودها ، ان في اذهان مواطنيها ، وان في نظر اصدقائها واعدائها من الخارج .

بيد ان هذه الفرصة في حياة الدول — اعني فرصة تركيز الحدود — انما ترد من التاريخ ، وهي على التحقيق ، معنى كاللحظة المنقذة في حياة الفرد التي بسطنا امرها في مستهل هذا البحث . وليس في تاريخ « اسرائيل » ما يصح ان ينقذها على مدى قصير ، بله المدى الطويل ، لان قيامها كما رأينا ، لم ينبع من داخلها ، وانما كان لارتباطها بمصالح خارجية ، عرضية ، لا يصح اعتبارها ، بحال من الاحوال ، دائمة وبالتالي ، حقيقة او جوهرية .

وهنا نوافق سارتر في تقريراته حول خلو الطائفة اليهودية من الصفة الوطنية المحسوسة ، ولا نوافقه على فراغها من كل محتوى ديني . وهو نفسه يقرر ان « اليهود الملحدين الذين تحدثت اليهم يعترفون ان حوارهم حول وجود الله يدور مع الديانة المسيحية ، والدين الذي يهاجمونه ويريدون الخلاص منه انما هو الدين المسيحي.. وما كانوا في لحظة من اللحظات ملحدين ضد التلمود . والكاهن بالنسبة اليهم هو الخوري ، وليس الحاخام . » (١)

هذا معناه — ومن بيان سارتر نفسه — انه حتى اليهودي الملحد ، ينطوي على ايمان سلبي يتجه نحو الخارج ، أي ضد المسيحي في اوروبا واميركا ، وضد البوذي والمسلم في آسيا وافريقيا . وليس لديه ما هو ايجابي تجاه غيره ، وهذا هو السر في انه يحيا بلا داخل ، وظهر التعبير عن ذلك ، في اطار الوجود السياسي ، ان قامت « اسرائيل » من غير حدود واضحة ، معروفة منها ومن الآخرين ... وستظل تائهة كما قامت.

ومذ كان الداخل والخارج متلازمين في حياة الدولة ، شأنهما في حياة الفرد ، فان الملاحظ من سيرة « اسرائيل » انتقاضها المستمر على المباديء ، وتحللها من القوانين الدولية ، واضطرابها وتخبطها في المواقف التي تحتاج الى ثبات على الرأي ، وتشدد في التطبيق ، وذلك لانها لا تصدر في مواقفها الا عن رغبة في ايذاء الآخرين ، واجتذاب النفع او الربح لنفسها .

اكتفي من ذلك بمثل واحد ، وهو ان زعماء الصهاينة الاولين كانوا يلحون على « تدويل » القضية اليهودية ، وجعلها عالمية ، وكان اول مؤتمر صهيوني — وهو الذي عقد في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧ — صريحا في بيان ذلك ، فقد جاء في مقرراته العلنية ان « القضية اليهودية ذات طابع دولي ، ولذا يجب ان تحل دوليا » .

هذا في مستهل التجمع اليهودي ، ولكن الامر اخذ يتحول شيئا فشيئا ، مع استيلاء اليهود على ما هو حق لغيرهم — سيرا مع تعاليم التلمود ، الى ان اصبحوا اليوم على طرف النقيض مما كانت عليه قضيتهم في ايام هرتسل وبلفور : انهم يريدون الان ان يحصروها بينهم وبين كل دولة عربية على حدة ، ويحاربون الامم المتحدة بكل ما تمثل من مواثيق وتعهدات وقوانين . ولو انهم اخفقوا في الاستيلاء على ما استولوا عليه ، لظلت قضيتهم ، في نظرهم ، دولية « تبت بها محافل الامم المتحضرة » !

هذه التناقضات — وما اكثرها في سيرة « اسرائيل » ! — انما نشأت عن فراغ في داخل كل اسرائيلي ، وليس لها سبب آخر .

اما اذا كان داخل « اسرائيل » محشوا بتعاليم التلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون ، والخطط السرية ، والمؤامرات ، والمواطؤات ، مما لا تسمح لنفسها ان تبوح به ، ويفرض عليها المنطق الانساني أن تنكره وتتنكر له ، فهذا يؤكد من جديد ، انها تحمل عناصر هلاكها في داخلها ، وانها هي التي تدمر نفسها بنفسها ، ولا فرق من حيث المصير بين داخل هو الفراغ ، وداخل ينطوي على عناصر الاصطدام والفراغ ، بحكم ذلك التلازم بين الداخل والخارج .

— ٤ —

... وكان ان أحست « اسرائيل » منذ نشأت بهول هذا الفراغ في داخلها ، وكان زعماؤها واصحاب فكرة انشائها من موزس هس ، الى تيودور هرتسل ، الى حاييم ويزمن ، الى البرت اينشتين ، الى موشه دايان ، يدركون نقاط الضعف والقلق في كيانها ، فراحوا يعملون على ملء الفراغ الداخلي بـ « الدعايات » و « الاكاذيب » في جانب ، و « اغتنام الفرص » التي تقدمها اوضاع المنطقة العربية لهم ، من النواحي الاقتصادية أولا ، والاجتماعية ، والسياسية ، والعسكرية اخيرا ، لاظهار انفسهم بمظهر التقدم ، والتمدن ، والقوة ، والنصر . والتاريخ لا يعرف حركة اولت الدعاية من الاهتمام والبذل ، ما اولتها منهما الصهيونية ، حتى ان الاسرائيلي نفسه أصبح على جهل مطبق بحقيقة أمره ، منقطعا عن الواقع الذي يدور حوله ، غريبا كل الغربة عما يجري في العالم الراهن من تطلعات ، أميا على نحو مفجع مدمر ، من الناحية الاخلاقية والروحية . وتلك هي بالضبط حال ذوي القمصان الملونة من اتباع هتلر وموسوليني في فترة ما بين الحربين ، اذ سيقت المانيا وايطاليا الى العبودية ، والهوان ، فالهزيمة الماحقة ، وابناء كل من هاتين الدولتين كانوا يحيون في ابراج مشيدة من الاوهام ، والغوايات ، والضلالات ، ويصرون حتى وهم ينهزمون ، على ان النصر الاخير من نصيبهم !

ولا أدل على صحة هذا الواقع من الاساليب التي يتبعها زعماء « اسرائيل » في اجتذاب اليهود الى فلسطين ، وحمل الدول في اوروبا الشرقية خاصة (روسيا ، بولونيا ، رومانيا ، هنغاريا ، الخ ..) على « تهجير » اليهود ، واغرائهم بترك اوطانهم ، ليخدموا دولة « يتصورونها » تصورا ، ولا يعرفون عن حقيقتها شيئا ، ولا يحاولون ان يدرسوا تاريخها ، وسيرتها ، وما يمكن ان يكون مستقبلها ... انهم يكذبون ، بلا ريب ، على اليهود انفسهم في تلك الديار ، كما انهم يلجأون في معاملة اهل فلسطين من العرب ، وحتى من اليهود الشرقيين ، الى ابشع الوسائل ، وأحطها ، وأحفلها بالاجرام ، ليكرهوهم على ترك ديارهم ، وممتلكاتهم ، فلا اليهودي القادم حديثا يشعر انه مواطن ، ولا العربي المقيم منذ اجيال واجيال يشعر بالامان مع الدولة الجديدة التي اقيمت رغما عنه فوق ارضه ، ولا رجال الدولة داخل « اسرائيل » يواجهون الواقع الا من زاوية الخارج ، أي من زاوية المعونات الاقتصادية

---

(١) انظر
Jean Paul Sarter, reflexions sur la question juive, P. 80

والعسكرية والدعائية التي تمكنهم من الاستمرار في انتهاج السياسة التي سبقوا – تاريخيا – الى انتهاجها .

هكذا ... نعم هكذا ، فقد الانسان داخل « اسرائيل » حريته ، وتحول الى عبد من عبيد الماضي ، الى لعبة في يد القدر ، يستحيل عليه أن يفكر معها بوضوح ، او يدرك ما يمكن ، او يحتمل ان يحدث له . اصبح مضطرا الى تقبل الوجود فيها من غير اعمال روية ، أو اتخاذ موقف ، مجبرا على « تصديق » ما يقال له عن العرب ، عن الروس ، عن الانكليز والفرنسيين ... وهو لا يملك بطبيعة هذه العبودية ان يناقش الاميركان ، او يملي عليهم رأيا الا من زاوية واحدة ، هي حاجته الى معونتهم ، واضطراره الى تأييدهم في كل ما يقولون ويعملون . وهذا الموقف الاخير ، انما تمليه ضرورات تاريخية محض ، لان اليهودي الحديث ، والمعاصر خاصة انتقل في منازعاته وخصوماته من الروس الى البولونيين ، ثم الى الالمان ، ومن هؤلاء الى العرب . ومن الواضح انه اخذ يختصم مع الفرنسيين ، ثم مع الانكليز ، وستشهد الاعوام القليلة القادمة خلافا عميقا بين « اسرائيل » وبريطانيا ، لان الصداقة بين هاتين الدولتين لم تنشأ عن احترام متبادل ، ولا عن تعاطف ثقافي وتاريخي ، بل كانت نتيجة توافق في المصالح على نحو من التآمر والتواطؤ ضد الشعوب في كل من آسيا وافريقيا ، وحتى في أميركا نفسها .

وهذه ثغرة فراغ في حياة « اسرائيل » ، لا تملك ان تملأها دعاية ، ولا يبلغ فيها التضليل هدفا مثمرا .

— ٥ —

تلك هي حقيقة « اسرائيل » ، فما هي اهدافها ؟

الظاهر انها تريد ان تجني سكرا من حنظل ! واوضح مثل على ارادتها تلك « الظاهرة » ، لان هناك ، بلا ريب ، ارادة باطنة – اوضح مثل انها تحارب العرب ، وتنكر على الفلسطينيين كل حق في بلادهم ، وتبث الدعايات السيئة المسمومة ضد كل ما هو عربي ، ومن هو عربي ، في أقاصي الارض وأدانيها ، لم تعلن انها تريد « المفاوضة » والصلح ، والاعتراف بها ، كأن في اعمالها كلها من الفها الى يائها ، عملا واحدا يحمل على اعطائها شيئا من هذه النتيجة التي ترقبها ، او تتظاهر بترقبها !

وواقع الحال ان « اسرائيل » في هذا الموقف تنبيء عن جهل مخز بحقائق الامور ، وعجز فاضح في العقلية التي تسير حكامها ، سواء كانت صادقة او كاذبة ، مخلصة او مرائية ، اذ لا يبعد انْ يكون دعاتها قد صدقوا ما يذيعون ، واخذوا بالاضاليل التي يبنون ، فخيل اليهم ، وقد عموا عن رؤية الحقائق ، ان في الامكان قتل امريء ومفاوضته في آن واحد ، او اهانته وحمله من بعد على اكرام من اهانه ، او تعذيبه وجره الى اسعاد من عذبه . انهم يزرعون الاشواك ويريدون من العرب ان يقدموا لهم طاقات الزهر ، ينهالون عليهم سياط بلاء ثم يناشدونهم ان يصدقوهم اذ يتحدثون عن الصلح والسلام !

تلك هي المشكلة . وليس في مفكري العصر من طرحها على حقيقتها، واستند الى الواقع في طرحها .

ها هو جان – بول سارتر ينطلق نحو طرحها من قاعدة فلسفية خالصة ، محاولا ان يحلها ، بعد ذلك ، على اساس من الفلسفة التي يدعو اليها : « اللاسامي يأخذ على اليهودي ان « يكون » يهوديا . والديمقراطي يمكن أن يأخذ عليه عفويا ، أن « يعتبر نفسه يهوديا . ويبدو اليهودي بين خصمه ومحاميه في وضع جد سيء . انه ليس له ، فيما يظهر ، أن يعمل شيئا الا ان يختار نوع الحساء الذي يؤكل فيها. يحسن بنا اذن ان نلقي بدورنا السؤال : هل اليهودي يوجد ؟ واذا كان موجودا ، من هو ؟ هل هو يهودي أولا ، ام انسان أولا ؟ أيكمن حل المشكلة في ابادة جميع الاسرائيليين أم في تمثلهم على نحو كلي شامل ؟ أم أنه لا يمكن تبين طريقة أخرى في طرح المشكلة ، وطريقة اخرى في حلها ؟ » (١)

ان سارتر لا يميز في مواجهة الوجود – وذلك هو عيب فلسفته الاكبر – بين الوجود في الزمان ، والوجود في المكان ، ثم لا يرى بوضوح ان للوجود نفسه في المكان ، صفات محض انسانية ، وان تقرر لديه ان وجود وحدات من الجيش الهتلري على ارض فرنسا بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، غير شرعي ! وعذره انه وضع كتابه « تأملات في المسألة اليهودية » عام ١٩٣٨ . ولكن ما عذره اليوم في تبرير الوجود الاسرائيلي على ارض سيناء ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان ، والضفة الغربية للاردن ؟

الحقيقة أن « اللاسامي » في الوطن العربي اليوم هو الاسرائيلي. فهذا « الاسرائيلي » هو الذي يأخذ على العربي أن « يكون عربيا » ، وهو الذي ينكر على الفلسطيني ان « يعتبر نفسه » عربيا ، وهو الذي يريد أن يحل المشكلة بابادة جميع العرب ، ويحاول أن يرسل عرب فلسطين الى كندا ليتم هناك تمثيلهم على نحو كلي شامل !

والحقيقة أيضا أن مشكلة الاسرائيلي تكمن في طمعه بحقوق الآخرين ، واعتدائه على هذه الحقوق ، ووجود من يناصره على اطماعه واعتداءاته قديما وحديثا .

أما أنه انسان اولا ، أم يهودي أولا ، فالمسألة تطرح على صعيد السياسة دون ان نغير جوهرها هكذا : هل اليهودي في روسيا مثلا مواطن روسي اولا ، أم يهودي اولا ؟

لقد اجاب رجل مثل بيريا عن هذا السؤال انه يهودي أولا ، ولذلك حاول « ان ينسف الدولة السوفياتية » كما جاء في صيغة الاتهام الرسمي . ودريفوس في فرنسا كان قد اجاب قبل بيريا الجواب نفسه. وما يقال في بيريا ودريفوس ، يقال في كل مواطن ينصرف ولاؤه الى غير وطنه ، وشعبه ، وأمته .

وسارتر ينسى ان لكلمة « انسان » محتوى اخلاقيا ، واجتماعيا ، وسياسيا ولا سيما في هذا العصر . فالمجرم انسان شكلا ، والخائن

(١) المصدر السابق ، ص : ٦٩

صدر حديثا

حكايا للحزن

مجموعة قصص

بقلم

اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومبي » ، لقصاص اصيل هو نسيج وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي ونزعته الانسانية وروحه الالتزامية الصادقة

منشورات دار الاداب ٢٥٠ ق.ل

انسان شكلا ، ولا يصح ولا يجوز أن يكون الوجود الشكلي قاعدة في تركيز العلاقات ، وتوزيع الحقوق والواجبات ، لان المصير هو الحكم الاخير ، والقاضي الطبيعي في مثل هذه الشؤون ، ولا أصدق أن سارتر يرضى بأن يكون مصير الخائن والمجرم كمصير الوطني المخلص !

— ٦ —

ها قد وصلنا الى الجانب العملي من هذا البحث ، وهو أن لا حل للمسألة اليهودية من الخارج ، خارج الذات التي تعاني المشكلة . وكل تدخل فيها يزيدها تعقيدا ، ويعود على المتدخلين بأفدح الإضرار ، ان لم تكن في الحال ، ففي الاستقبال ، ولا فرق بين أن يكون ذلك التدخل في مفهوم القائم به لمصلحة اليهود ، أو لمصلحة المباديء العامة المتعارف عليها كالعدالة ، والديمقراطية ، والانسانية ، لان لليهود « مفاهيم خاصة » لهذه المباديء ، وقد رأيت كيف نادوا أول الامر بـ « دولية » قضيتهم ، ثم ارتدوا ضدها ، وأصبحوا يتهربون من المواثيق والقوانين الدولية .

ذلك يفيد أن افضل حل يمكن اعتماده بصورة رياضية مطلقة ، هو ان يترك اليهود — و « اسرائيل » على رأسهم — لمصائرهم التي تحددها حقيقتهم من جهة واعمالهم من جهة أخرى .

ان موقف العرب تجاه المسألة اليهودية أقوى ، رغم كل الظواهر ، من المواقف التي اتخذتها وتتخذها الامم الاخرى ، فليس في تاريخ أي بلد عربي ، انه « اضطهد » اليهود لانهم يهود ، وليس من نزعة العربي ، على العموم ، ان يستعدي الناس على من يعاديه ، كما هو شأن اليهودي تجاه العرب في البلدان الغربية .

هناك خطر واحد يجب على العرب ان يتفادوه ، ويستمروا في مقاومته ، هو هذه « النظرة » الجديدة اليهم ، من خلال المنظار الذي وضعه اليهود على عيون الناس هنا ، وفي كل مكان ، ولا سيما في الآونة الاخيرة ، اذ تصور اليهود انهم انتصروا ثلاث مرات ، ونسوا أنهم كانوا ، ولا يزالون ، «أداة » في أيدي الذين أدوا لهم « الخدمات »» ومكنوهم من « النقطة » التي يزعمون أنهم انتصروا فيها .

وانما يكون تفادي هذا الخطر ، وتدارك آثاره ، في السلبية المطلقة تجاه كل ما هو اسرائيلي ، ومن هو اسرائيلي ، والايجابية المطلقة تجاه كل دولة عربية ومصلحة عربية ، وقوة عربية ، على ان يضع العرب في اعتبارهم الدائم أن ملاذهم الاخير في تعاونهم ، وتساندهم ، وتدارك عوامل الشقاق في صفوفهم ، بحيث يعملون دون انقطاع ، على « درس » الحالات التي تسيء الى مجموعتهم ، وتشوه تاريخهم ، وتجرح كرامتهم، ويجندون قواهم بعد ذلك ، لمحو تلك الحالات ، وتبديلها ، في صمت وهدوء من غير تعرض بالسوء ، حتى للذين اساءوا اليهم ، وكان اليهود السبب في تلك الاساءة .

ان ما يطلب الى العرب ، في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخهم ، أن يقوموا بالخطوات الوئيدة الثابتة لايصال « اسرائيل » الى مصيرها المحتوم ، ان يعينوا القدر الاسرائيلي على الوقوع ، دون ان يتحملوا فيه أدنى تبعة ، فان من عادة اليهود أن يرفعوا التبعة عن كواهلهم ، ليلقوها على عاتق غيرهم ، وينسوا ما قدمت ايديهم من مساوىء وشرور ، كما أن من عادتهم أن « يحدثوا » ضجيجا تستك له اسماع البشر .

ذلك هو سحرهم ، فليكن همنا ان ينقلب السحر على الساحر ، وتصبح دعاياتهم ضد العرب مع العرب ، اذ تأتي الوقائع وتبين أكاذيبهم، والعرب صامتون ، و « اسرائيل » ، بعد كل حساب ، كغيرها من الدول الباغية ، لا يمكن ان تجني سكرا من الحنظل ، ولن تحصد الا ما زرعت .

هذا هو مصيرها ، فلندعها تمضي نحوه ... ولها الهزيمة والخزي والخسران .

عبد اللطيف شرارة

صدر حديثا :

الرواية الرائعة التي كتبها الروائي العربي الاول

الاستاذ نجيب محفوظ

والتي طال انتظار القراء العرب لها
في كل مكان

أولاد حارتنا

* **أجرأ وأخطر ما كتب مؤلف الثلاثية الشهيرة**
* **الرواية التي أثارت ضجة كبيرة لدى نشرها في جريدة « الاهرام » منذ سنوات فلم يتح لها أن تصدر في كتاب ...**
* **تنشرها « دار الاداب » اليوم في اخراج أنيق وطباعة فاخرة**

الثمن ٧٥٠ ق. ل.